الدعاء
السلاح المهمل

محمد بن عبد الله بن صالح الهبدان

مصدر هذه المادة :



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمـــــــدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضـى، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً نرجوا لها النجاة، ويكــون أمرنا يســرى، وأشــهد أن محمــدًا عبده ورسوله وعلى آله وصحبه.. أما بعد:

فــاقرأ معي هــذا الخــبر.. كـان رجل من أصحاب النبي من الأنصـار يكـنى أبا مِعْلَق وكان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره، يضرب به في الآفاق، وكان ناسكًا ورعًـا، فخــرج مــرة فلقيه لص مقنع في السلاح، فقـال لـه: ضع ما معك فإني قاتلك، قال: ما تريد إلى دمي شأنك بالمـال، قـال: أما المـال فلي ولست أريد إلا دمـــك، قـــال: أما إذا أبيت فـــذرني أصـــلي أربع ركعــات، فكــان من دعائه في آخر سـجدة أن قـال: يا ودود يا ذا العــرش المجيد أسألك بعـزك الـذي لا يـرام وملكك الـــذي لا يضــام وبنــورك الــذي ملأ أركــان عرشك أن تكفيني شر هـذا اللص، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني؛ ثلاث مرات، فإذا هو

بفـارس أقبل بيـده حربة ووضـعها بين أذني فرســـــه، فلما بصر به اللص أقبل نحـــــوه فطعنه فقتله، ثم أقبل إليه فقال: قم. قال: من أنت – بأبي وأمي – فقد أغاثني الله بك اليــــوم، قـــال: أنا ملك من أهل الســـماء الرابعة دعـــوت بـــدعائك الأول فســـمعت لأبـواب السـماء قعقـة، ثم دعـوت بـدعائك الثـاني فسـمعت لأهل السـماء ضـجة، ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل: دعاء مكـروب، فسألت الله تعالى أن يوليني قتله [1].

هكذا عندما تنزل المحن وتشتد الخطوب وتتـــوالى الكـــروب وتعظم الرزايا وتتـــابع الشدائد لن يكون أمـام المسـلم إلا أن يلجأ إلى الله تعالى، ويلـوذ بجانبـه، ويضـرع إليه راجيًا تحقيق وعـــده الـــذي وعد به عبـــاده المؤمــنين؛ إذ يقــول الله تعــالى: ﴿**وَقَـالَ رَبُّكُمُ ادْعُــونِي أَسْــتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غــافر: 60]، ويقول: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّي فَـإِنِّي قَـرِيبٌ أُجِيبُ دَعْــوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُـوا بِي**

---

[1] (?) كرامـات الأوليـاء للالكـائي (9/154)، الإصـابة (7/379) الهواتف لابن أبي الدنيا (2/24).

لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ [البقـرة: 186]، فـإني قـريب.. أجيب دعـوة الـداع إذا دعـان.. أية رقة؟ وأية شـفافية؟ وأي إينـاس؟ وأين تقع تكاليف الحياة في ظل هذا الود؟ وظل هـذا القرب؟ وظل هـذا الإينـاس؟ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْـوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**. أضاف العباد إليه، والـرد المباشر عليهم منــه.. ولم يقــل: فقل لهم: إني قـــريب.. إنما تـــولى بنفسه جل جلاله الجواب على عباده بمجرد السؤال فقـط!.. قريب.. ولم يقل أسـمع الـدعاء.. إنما عجل بإجابة الــدعاء: **أُجِيبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ**.. إنها آية عجيبــة.. آية تسـكب في قلب المـــؤمن النـــداوة الحلـــوة، والـــود المـــــــــــؤنس، والرضا المطمئن، والثقة واليقين.. ويعيش منها في جنـــاب رضـــيٍّ، وقربى ندية، وملاذ أمين، وقرار مكين، قـال عليه الصلاة والسلام: «**ينزل ربنا تبـارك وتعـالى كل ليلة إلى السـماء الـدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يـــدعوني فأســتجيب لـــه، ومن يسـألني فأعطيـه، ومن يسـتغفرني**

فـأغفر له»[1]. وعن أبي هريــرة قــال: قــال رســول الله : **«إنه من لم يســأل الله يغضب عليه»**[2].

فالدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، ويعالجه ويمنع نزولــه، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المـؤمن، وقد روى الحـاكم في صــحيحه من حــديث عائشة رضي الله عنها قــالت: قــال لي رســـول الله : **«لا يُغـني حـذر من قـدر، والـدعاء ينفع مما نــزل، ومما لم يــنزل، وإن البلاء لينزل فيلقـاه الـدعاء فيتعلجـان إلى يوم القيامة»**[3].

شروط إجابة الدعاء

في ظل هذا الأنس الحبيب، وهذا القرب الودود، وهـذه الاسـتجابة الحيـة.. يلفت الله تعــالى نظر عبــاده المؤمــنين إلى قضــية كـبرى، وهي أن قضـية إجابة الـدعاء معلقة

---

1 (?) رواه مسلم ورقمه (1261) من حديث أبي هريرة .

2 (?) رواه الترمذي ورقمه: (3373) وابن ماجه ورقمه: (3827) بلفـــظ: «من لم يــــدع الله غضب عليه» وحسنه الألباني.

3 (?) أخرجه الحــاكم (1/492) وصــححه، وقد حســنه الألباني في صحيح الجامع (7739).

بالاستجابة التامة له، والإيمان به، فقال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ الاستجابة الكاملة التي تعني السير على المنهج الأوحد الذي اختاره الله لعباده، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

الاستجابة لله تعالى التي تعني الانقياد التام لأمره ونهيه، والتسليم لقضائه، والخضوع لجنابه، وبدون ذلك ربما تتعذر الإجابة.

والمتأمل في أوضاع الأمة يلحظ أنها في كثير من مواطنها وأوضاعها اختارت غير ما اختار الله، ودانت بمناهج على غير طريق رسول الله ﷺ، اختلطت عليها السبل، واصطبغت بغير صبغة الله، تغيرت أحوالهم، وفرطوا في دينهم، أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، أكلوا الربا، وفشا فيهم الفحش والزنا، تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتبعوا خطوات الشيطان، وتمادوا في معصية الرحمن،

وهـذه كلها أسـباب في عـدم إجابة الـدعاء؛ لأن الـذنوب والمعاصي قد تكـون حائلة من إجابة الدعاء [1] خاصة أكل الحرام. ذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتـاب الزهد لأبيـه: (أصاب بني إسرائيل بلاء، فخرجوا مخرجًـا، فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخـبرهم أنكم تخرجـون إلى الصـعيد بأبـدان نجسـة، وترفعـون إلي أكفًا قد سـفكتم بها الـدماء، وملأتم بها بيـــوتكم من الحـــرام، الآن حين اشــتد غضــبي عليكم، لن تــزدادوا مــني إلا بعدًا)[2].

وقـــــال ﷺ: «**يا أيها النـــاس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»... الحـــــــديث، وفيــه: «**ثم ذكر الرجل يطيل السـفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السـماء؛ يا رب يا رب، ومطعمه حـرام ومشـربه حرام وملبسه حرام وغـذي بـالحرام، فأنى يستجاب لذلك**»[3].

ولنا أن نتعجب كما تعجب رســـول الله ﷺ من ذلك الرجل الـــذي اجتهد في الـــدعاء،

---

[1] (?) أشـــار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله في كتابه الجواب الكافي ص24.

[2] (?) نقلاً من الجواب الكافي ص25.

[3] (?) رواه مسلم ورقمه (1015).

وأخذ بأســـباب الإجابة من إطالة الســـفر، وتواضع المظهـــر، والتضـــرع في الـــدعاء! فتشـنا، تلمسـنا، نظرنـا، فوجـدنا أن الرجل غـارق في لجة الحـرام! إذًا كيف يسـتجاب لمثل هـــذا وهو قد جعل طعامه وشـــرابه وملبسه من حرام!!

أسباب إجابة الدعاء

إذا جمع العبد مع الدعاء:

* حضــــــور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب.

* وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة، وهي: الثلث الأخـير من الليـل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة وأدبـــــار الصـــــلوات المكتوبات، وعند صعود الإمـام يـوم الجمعة على المنـــبر حـــتى تقضي الصـــلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم.

* وصادف: خشوعًا في القلب وانكســارًا بين يدي الرب وذلاً له وتضرعًا ورقة.

* واستقبل الداعي القبلة.

* وكان على طهارة.

* ورفع يديه إلى الله تعالى.

* وبـدأ بحمد الله والثنـاء عليـه، ثم ثـنى بالصلاة على محمد عبده.

* ثم قـــــدم بين يـــــدي حاجته التوبة والاستغفار.
* ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة وتملقه ودعـاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده.
* وقدم بين يدي دعائه صدقة.

فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا.

الحيلولة بين العبد والدعاء

إن المصـــيبة كل المصـــيبة والرزية كل الرزية أن يحـــال بين المـــرء وبين الـــدعاء عندما تنزل به الملمات، وتشتد به الكربات، فلا يضرع إلى الله ولا يلجأ إليه بـأن يكشف الله ضره ويفرج همه.

ولقد بين الله تعـالى في القـرآن نموذجًا من الواقع التاريخي، نموذجًا يعـرض ويفسر كيف تعـــرض عاقبة تعرضـــهم لـــه، وكيف يمنحهم الله الفرصة بعد الفرصـة، ويسـوق إليهم التنبيه بعد التنبيه، فإذا نسوا ما ذكروا به، ولم توجههم الشدة إلى التوجه إلى الله والتضـــرع له ودعائـــه، ولم تـــوجههم النعمة

إلى الشـــكر والحـــذر من الفتنـــة، كـــانت فطرتهم قد فسدت الفساد الـذي لا يـرجى معه صـــلاح، وكـــانت حيـــاتهم قد فســـدت الفســاد الـذي لا تصـلح معه للبقـاء فحقت عليهم كلمة اللــه، ونـزل بسـاحتهم الـدمار الذي لا تنجو منه ديار؛ فقال تعالى: ﴿**وَلَقَـدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَـذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَـرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَـرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَـتْ قُلُـوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّـيْطَانُ مَا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ * فَلَمَّا نَسُـوا مَا ذُكِّرُوا بِـهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْـوَابَ كُـلِّ شَـيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُـوا بِمَا أُوتُـوا أَخَـذْنَاهُمْ بَغْتَـةً فَـإِذَا هُمْ مُبْلِسُـونَ * فَقُطِـعَ دَابِـرُ الْقَـوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُـوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام].

في هـذه الآيـات عـرض لأنمـوذج متكـرر في أمم شتى.. أمم جاءتهم رسلهم فكذبوا، فأخـــذهم الله بالبأســـاء والضـــراء؛ في أمـــوالهم، وفي أنفســـهم، في أحـــوالهم

وأوضاعهم، بالبأساء والضـراء الـتي تبلغ أن تكـون (عـذاب اللـه) الـذي هو التـدمير والاستئصال.

لقد أخـذهم الله بالبأسـاء والضـراء لـيرجعوا إلى أنفسـهم، وينقبـوا في ضمائرهم، وفي واقعهم، لعلهم تحت وطـأة الشـدة يتضـرعون إلى اللـه، ويتـذللون لـه، ويـدعون الله أن يرفع عنهم البلاء بقلـوب مخلصـة، بقلـوب موقنـة، فـيرفع الله عنهم البلاء، ويفتح لهم أبـواب السـماء.. ولكنهم لم يفعلوا ما كان حريًا أن يفعلوا، لم يلجؤوا إلى اللـه، ولم يرجعـوا عن عنـادهم وعصـيانهم، ولم تـرد إليهم الشـدة وعليهم، ولم تفتح بصيرتهم، ولم تلن قلـوبهم، وكـان الشـيطان من ورائهم يـزين لهم ما هم فيه من الضـلال والعنـاد: ﴿**وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

والقلب الـذي لا تـرده الشـدة إلى الله قلب تحجر فلم تعد فيه نـداوة تعصـرها

الشدة، ومات فلم تعد الشدة تثير فيه الإحساس، وتعطلت أجهزة الاستقبال الفطرية فيه؛ فلم يعد يستشعر هذه الوخزة الموقظة التي تنبه القلوب الحية للتلقي والاستجابة، والشدة ابتلاء من الله للعبد؛ فمن كان حيًا أيقظته، وفتحت مغاليق قلبه، وردته إلى ربه، وكانت رحمة له من الرحمة التي كتبها الله على نفسه، ومن كان ميتًا حُسبت عليه، ولم تفده شيئًا، وإنما أسقطت عذره وحجته، وكانت عليه شقوة، وكانت موطئة للعذاب.

وإذا كانت الشدة لم تفد في تلك الأمم، فالله تعالى يملي لهم ويستدرجهم بالرخاء: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**؛ إن الرخاء ابتلاء آخر كابتلاء الشدة، وهو مرتبة أشد وأعلى من مرتبة الشدة! والله يبتلي بالرخاء كما يبتلي بالشدة، قال ﷺ: **«إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا**

على معاصـــــــيه ما يحب، فإنما هو اســــتدراج». ثم تلا: ﴿**فَلَمَّا نَسُـــوا مَا ذُكِّرُوا بِــهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْــوَابَ كُــلِّ شَـــيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُـــوا بِمَا أُوتُـــوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾[1].

تأمل – رعــــاك الله – قولــــه: ﴿**فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْـوَابَ كُـلِّ شَـيْءٍ**﴾ تلك الأرزاق والخيرات والمتاع متدفقة عليهم كالسـيول، بلا حــواجز ولا قيــود! وهي مقبلة عليهم بلا عناء ولا كد، ولا حتى محاولة!

﴿**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا**﴾ وغمرتهم الخيرات والأرزاق المتدفقة، واستغرقوا في المتـاع بهـا، والفـرح لها بلا شـكر ولا ذكـر، وخلت قلـــوبهم من الاختلاج بـــذكر المنعم ومن خشيته وتقواه، وانحصرت اهتمامـاتهم في لذائذ المتــاع واستســلموا للشــهوات، وخلت حياتهم من الاهتمامات الكبـيرة، وتبع ذلك فســاد النظم والأوضـــاع بعد فســاد القلوب والأخلاق، وجر هذا وذلك إلى نتائجه

---

[1] (?) رواه أحمد في المسند (4/145) وصححه الألباني، صحيح الجامع رقم (561).

الطبيعية من فساد الحياة كلها.. عندئذ جـاء موعد السنة التي لا تتبدل ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾. فكـان أخـذهم على غـرة وهم في سـهوة وسـكرة؛ فـإذا هم حـائرون منقطعـوا الرجـاء في النجـاة، عاجزون عن التفكير في أي اتجاه ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

لزوم الدعاء والمواظبة عليه

من أحب أن يوفق للجوء إلى الله تعـالى عند الشدة والبلاء فليلـزم الـدعاء والتضـرع إليه حـال الرخـاء، والشـكر على النعمـاء، وليسأل ربه العافية من البلاء، قال ﷺ: «**من سـره أن يسـتجيب الله له عند الشـدائد فليكـثر من الـدعاء في الرخاء**»[1].

لقد كان النـبي ﷺ إذا أهمه أمر رفع رأسه إلى السماء فدعا يلتمس الفرج والنجاة من

---

[1] (?) رواه الترمذي من حديث سـلمان ورقمه (3304) وقـال عنه الترمـذي: هـذا حـديث غـريب، والحـديث حسنه الألباني.

رب السـماء، وكم له ﷺ من الـدعوات عند الكروب ونوازل الخطوب.

فعنـدما آذته ثقيف جلس ﷺ إلى ظل شـجرة ورفع رأسه إلى السـماء ضـارعًا يقـول: «**اللهم أشـكوا إليك ضـعف قـوتي وقلة حيلـتي وهـواني على النـاس، يا أرحم الـراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي...**» الحديث.

وعندما نازلته قريش في بـدر رفع رأسه ويديه إلى السـماء وأخذ يـدعو الله ويضـرع إليه حـتى أتم الله له النصر وبعث إليه ملائكة تقاتل مع جيشه.

فـاتق الله يا أخي وتضـرع إليه وادع الله وأنت موقن بالإجابة، ولا يقعدنك عن الدعاء الغفلة أو الركون إلى ضلال الضالين وشـبه المنحرفين؛ فإن للدعاء أثره الواضح الفعال في تحقيق الرغائب وبلوغ الآمال، وحسـبك أنه هو العبادة التي تفتح بها أبواب الرحمـة، إذا توجه به العبد إلى ربه راغبًا راهبًا نـال رضاه وبلغ به فوق ما تمنـاه ﴿**ادْعُـوا رَبَّكُمْ**

تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْـلَاحِهَا وَادْعُــوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَـةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِـنِينَ﴾ [الأعـراف: 55، 56].

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

محمد بن عبد الله بن صالح الهبدان

مدرس العلوم الشرعية في ثانوية الأندلس بالرياض

الجمعة 24/7/1417هـ

البريد الإلكتروني:
alhabdan@email.com

جوال:
055203538

*** * * ***